قوائم المحتويات متاحة على المجلات الاكاديمية العراقية

مجلة البحوث والدراسات الاسلامية

الصفحة الرئيسية للمجلة:https://djisrs.dws.gov.iq

حجج الابتداء اليقينية في الشعر العربي وأثره في إقناع المتلقي

دراسة تحليلية وصفية

CERTAIN PREMISES IN ARABIC POETRY AND THEIR ROLE IN PERSUADING THE RECIPIENT

A DESCRIPTIVE AND ANALYTICAL STUDY

أ.م. د عبدالرحمن خلف مطلب*

كلية الإمام الأعظم الجامعة

Keywords

Abstract

Scholars of argumentation have successfully linked argumentative techniques to their underlying premises, since such premises are closely associated with the issues that constitute the starting point of argumentation and serve as the basis for reasoning in support of a particular proposition or viewpoint. Consequently, the premises employed must be acceptable and mutually acknowledged by both the author and the recipient. The principle that most effectively influences an audience is the speaker's ability to adapt to the listener. Therefore, a speaker should not proceed from premises that are disputed by the recipient or that lack common ground between the two parties.

معلومات المقال

تاريخ المقال:

الإرسال:

المراجعة:

القبول:٢٠٢٦/٦/١

الكلمات المفتاحية:

ملخص

لقد استطاع علماء الحجاج أن يربطوا موضوع تقنيات الحجج بمقدماتها، نظراً إلى كونها متعلقة بالقضايا التي يكون منها نقطة انطلاق الحجاج، وبها يكون الاستدلال على قضية ما أو رأي بعينه، لذا يجب أن يكون هناك مقدمات مقبولة ومتفَق على التسليم بهـا مشتركة بين المبدع والمتلقي، فالمبدأ الذي يؤثر على الجمهور هو تكيّف المخاطِـب مـع مستمعه، لذا فعلى المتكلم ألَّا ينطلق من مقدمات غير متفق عليها مـع المتلقـي أي غيـر مشتركة .

* **Assist. Prof. Dr. Abdulrahman Khalaf Matlab**
dr.abdalrahman.aljumaily@imamaladham.edu.iq

١ . المقدمة

ينبثق موضوع الحجاج من الحقول البلاغية واللسانية، والدراسة التي تناولته حديثا هي ما يعرف بالبلاغة الجديدة، فقد شهد الدرس البلاغي المعاصر حدوث نهضة قوية، التي استعادت من خلالها البلاغة حضورها في ميدان الفكر والمعرفة، مما أدى إلى ظهور مجموعة من النقاد اللغويين في القرن العشرين لدراسة الحجاج والاهتمام به والتنظير له، والتي ساهمت في تغيير مسار العلوم اللغوية فضلا عن العلوم الانسانية، ومن النقاد من اهتموا بدراسة الحجاج هو الناقد بيرلمان الذي اعتنى بمعايير انسجام الخطاب مع المخاطبين، واشترط على المرسل " خطيباً أو كاتباً " ضرورة الوعي بمستوياتهم المعرفية وبتنوعهم ... فالاهتمام هنا مركَّز على الجوانب الاستدلالية التي ستعمل على تعاضد العقول المخاطبة وانسجامها مع الطرح المقدَّم، إذ يشترط بيرلمان أنَّ المتكلم لابد له أن يأخذ بعين الاعتبار في خطابه الحجاجي قبول مستمعه للمقدمات التي ينطلق منها، وإذا لم يتمَّ له ذلك، فهو يرتكب خطأ كبيرا في الحجاج، ألا وهو المصادرة على المطلوب، وهي تعني في الحجاج أن يُبنَي الخطاب حجاجي على مقدمات يَتَوَهم أنَّ المستمع يسلِّم له بها، في الوقت الذي تكون فيه هذه المقدمات مُجادلاً فيها.

لذا سأتناول في هذا البحث مقدمة من مقدمات الحجاجية في شعرنا العربي التي اتخذها الشعراء وسيلة للإقناع من قبل المخاطِب وهي (حجج الابتداء) التي تجعل من الخطاب الحجاجي أكثر فاعلية بين الطرفين فتتحول من مقدمات إلى نتائج مقبولة يتم التسليم بها.

مفهوم حجج الابتداء

ونعني بها تلك الآليات المتصلة بالواقع، إمَّا أن تكون حقائق أو وقائع أو افتراضات[١]، بحسب تقسيم بيرلمان ((فالمقدمات التي تكوِّنُ موجهات حجاجية وحاملة للاتفاق، أي إلى الاتفاق الذي يحصل من المقدمات إلى النتائج، إذ تكون نقطة انطلاق للخطاب الحجاجي التي تشير إلى ما هو مشترك عند عدد كبير من الكائنات المفكرة، ويمكن أن يكون مشتركاً عند الجميع)) [٢]، ومن هذه المقدمات:

٢ .المبحث الأول: الوقائع

وهي أحداث ووقائع تمثل ما هو مشترك بين أشخاص عدة أو بين جميع الناس، فمن خلالها يحصل التسليم بها من قبل الجمهور، فالإذعان لها وقبولها يدل على قيمة ما يفرضه المحاجج على الجمهور، وتنقسم على قسمين: وقائع مشاهدة ومعاينة، ووقائع مفترضة [٣].

إنَّ المخاطِب يعتمدها ليعطي لخطابه مقدمة مؤثرة، يستطيع من خلالها استمالة المخاطَب، ليُحقق الإقناع والقبول،((ويكون هدف الأول له منها هو الوصول الى التأثير في اعتقادات المخاطب وسلوكياته، ومعنى هذا إنَّ الحوار عملية دينامية،

---

(١) ينظر: الحجاج في شروح التلخيص، ميثم قيس الزبيدي، أطروحة دكتوراه، + قسم اللغة العربية، جامعة القادسية، كلية التربية، ٢٠١٦ م: ١٢٥ .

(٢) بلاغة الاقناع في المناظرة، د عبداللطيف عادل، دار ومكتبة عدنان، بغداد – العراق، ط١، ٢٠١٣: ٨٧.

(٣) ينظر: في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات، د.عبدالله صولة، مسكيلياني للنشر، تونس .ط١، ٢٠١١: ٢٤.

وتكون نتيجتها إغناء رصيد كلّ طرف مشارك في الحوار من المعارف العامة أو الخاصة، ... ولولا حضور تلك المقدمات المعرفية في ذهن المتكلم، وافتراضه حضورها في ذهن المخاطب لما أمكن للأول أن يُضَمِّنَ ملفوظه ذلك المعنى الضمني، ولا أمكن للمخاطب اكتشافه))[١].

وقد تكون ((فرضيات يهتدي إليها المحاجج بحذقه ووعيه بطاقات مخاطبيه المعرفية وبظروف القول عامَّة)) [٢]، إنّ شأن الوقائع المعاينة أو المشاهدة، والوقائع الافتراضية يجب أن تحظى بالموافقة العامة، ولكنَّ القبول بالوقائع الافتراضية، والتسليم لحكمها، لا يكون قوياً، والسبب في ذلك أنها تكون محتملة فيمكن أن تكون كاذبة، فهي غير ثابتة بل متغيرة على عكس الوقائع المشاهدة، تبعاً للوسط والمقام والمتكلم والسامعين [٣].

أمَّا ما جاء في الشعـــر، ذلك إنَّ المخاطب يوجه افتراضه وأفكاره على أساس أفكار مسبقة تكونت لديه، بناء على ذلك يكون وجهة الخطاب الذي يريد المتكلم إيصاله، وما يتضمنه من معلومات، وقد يُؤسس عليها المخاطِب أو المتلقي استنتاجاته ليتفاعل مع الخطاب ويضع الإجابة والرد المناسب له[٤].

قد يختار المتكلم بعض الوقائع ليطرحها في خطابه الحجاجي والتي تتعلق بالأشياء التي تخدم وجهة نظره الحجاجية، وقد يستجيب لها المتلقي، ((والتسليم بالواقعة من قبل الفرد ليس إلَّا تجاوباً منه مع ما يفرض نفسه على جميع الخلق، إذ الواقع يقتضي إجماعاً كونياً))[٥] فالحجاج في مثل هذه المواضع والوقائع المشتركة والتي يسلم بها المتلقي طوعياً ((هو حجاج استنتاجي، باعتباره ينطلق من العام ليصلَ إلى الخاص))[٦]، ولا سيما إذا تعززت بأدلة وأنساق برهانية تدعمها، فالوقائع مقدمة من المقدمات الحجاجية،يحاول المخاطِب أن يجعلها ملائمة مع نتائج التي يقصدها، ليحصل من خلالها على القصد المطلوب وهو الإقناع والتأثير.

ومن هذه الحجة ما جاء على لسان إبراهيم بن هرمة لمّا ظهر محمد بن عبد الله بن الحسن[٧]، فقتله أبو

(١) الحجاج مفهومه ومجالاتـــه، د. حـــافظ اســـماعيلي علـــوي، عـــالم الكتـــب الحـــديث، إربـــد– الأردن، ط ١، ٢٠١٠ م : ١/ ٨٩٣ .

(٢) الحجاج في البلاغة المعاصرة، محمد ســـالم محمـــد الأمين، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت_ لبنـــان، ط١ ٢٠٠٨ : ١١٤.

(٣) يُنظر: الحجاج في البلاغة المعاصرة: ١١٢.

(٤) ينظر: التداولية والشعر قراءة في شعر المديح فـــي العصر العباسي، الدكتور عبد الله بيرم، دار مجـــدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط١، ٢٠١٤ م: ٨٣.

(٥) في نظريات الحجاج دراسات وتطبيقات: ٢٤.

(٦) الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه، د ســـامية الدريدي، عالم الكتـــب الحـــديث، إربـــد – الأردن، ط١، ٢٠١٠:٢٨٨ .

(٧) محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بـــن بن أبي طالب، أبو عبد الله، الملقب بـــالارقط وبالمهـــدي وبالنفس الزكية: أحد الامراء الاشراف من الطالبيين ولد ونشأ بالمدينة، اتفق رجال من بني هاشم بالمدينـــة علـــى بيعته سرا، وفيهم بعض بني العباس، فتخلف هو وأخـــوه إبراهيم عن الوفود على السفاح، ثم على المنصور، ولـــم يخف على المنصور ما في نفسه، فطلبه وأخاه، فتواريـــا

جعفر المنصور سنة ١٤٥هـ، فقال [من الوافر]: (١)

غَلبتَ على الخلافةِ من تَمنـى ... ومَنـاهُ المضـلُّ بهـا الضّـلولُ

فأهلكَ نفسـهُ سـفهاً وجبنـاً ... ولـم يقسـمْ لـه منهـا فتيـلُ

ووازرهُ ذوو طمـعٍ فكـانوا ... غثـاءَ السـيلِ يجمعـهُ السـيولُ

دَعوا إبليسَ إذ كَذبوا وجَـاروا ... فلـم يصـرخْهم المغـوي الخـذولُ

وكـانوا أهـلَ طاعتـه فـولى ... وسـارَ وراءَهُ مـنهم قبيـلُ

وهم لمْ يقصـروا فيهـا بحـقٍّ ... علـى أثـرِ المضـلِّ ولـم يُطيلـوا

وما الناسُ احتبوكَ بها ولكـن ... حبـاكَ بـذلكَ الملـكُ الجليـلُ

هنا أراد الشاعر أن يسلطَ الضوء على واقعة حدثتْ بين الخليفة أبي جعفر المنصور المتمثل بالحزب العباسي، و محمد بن عبد الله بن الحسن المتمثل بالحزب
العلوي، والتي انتهتْ بهزيمة العلويين وانقضاض العباسيين على السلطة سنة ١٤٥هـ(٢).

إذ سعى في خطابه إلى تقديم أدلة على أحقية الحزب العباسي للسلطة، فانطلق في خطابه مستنداً على " الوقائع " ليجعلها نقطة الحجاج التي انطلق منها بقوله: **(غلبْتَ على الخلافةِ من تمنَّى)** فالفعل **(غلب)** يمثل بؤرة صراع القوى السياسية على السلطة، وهذا واقع ومشاهَد ولا سبيل إلى دحضه أو التشكيك فيه، فكان هناك طرف غالب وهم العباسيون، وطرف مغلوب وهم العلويون، استطاع الشاعر أن يستثمر هذه الواقعة بالذات ويجعلها القضية التي يتكئ عليها الحجاج، أي المنطلق التي ترتكز عليها المحاجة في النفي والإثبات ، وهذا الجزء من الخطاب استند على واقعة عين.

إنَّ الطرف المهزوم لا يمكن أن يكون على رأس السلطة، وكانت حجةً يقينية راسخة شائعة معاينة من قبل الناس، مستندة إلى وقائع لا تقبل الدحض أو الشك، فهو من خلال هذه الأبيات يعطي صك العقد بيد الحاكم المتغلب، ويقصي الطرف المهزوم من الحكم من خلال النتيجة التي آلتْ إليها المعركة.

فقد وصف الشاعر خصوم العباسيين بفساد العقيدة، وأنهم أولياء الشيطان وأنهم أصحاب ضلالة في قوله: **(دَعوا إبليسَ)** وقوله **(كَذبوا وجَاروا)** وقوله: **(وكانوا أهلَ طاعته فولى)**، فحاول أن يصور هزيمتهم، وأن يصفهم بأبشع الصفات الدينية محاولة لرفع القيمة الحجاجية في خطابه المساند للسلطة، أما قوله:

وما الناسُ احتبوكَ بِهَا وَلكن ... حَبَاكَ بِذلك المَلِكُ الجَلِيلُ

بالمدينة، فقبض على أبيهما واثني عشر من أقاربهما، وعذبهم، فماتوا في حبسه بالكوفة بعد سبع سنين، وعلم محمد (النفس الزكية) بموت أبيه، فخرج من مخبئه ثائرا، في مئتين وخمسين رجلا، فقبض على أمير المدينة، وبايعه أهلها بالخلافة، وأرسل أخاه إبراهيم إلى البصرة فغلب عليها وعلى الاهواز وفارس، ثمّ قتله المنصور سنة ١٤٥ هجرية . يُنظر: الأعلام،قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، خير الدين الزركلي، طبعة دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط ١٥، لسنة ٢٠٠٢م : ٦ / ٢٢٠.

(١) شعر إبراهيم بن هرمة القرشي، تحقيق محمد نفّاع، وحسين عطوان، مطبوعات مجمَع اللغة العربية بدمشق، لسنة ١٩٦٩ م : ١٦٢.

(٢) ينظر: تاريخ الطبري، تاريخ الرسل والملوك: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت٣١٠هـ)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، ط٢، د ت: ٧ / ٥٥٢.

فقد حاول الشاعر من خلال هذا البيت أن يعطي الشرعية للسلطة العباسية، ويجعلهم الأئمة للمسلمين بالنص وليس بالاختيار، فمن خلال هذا البعد العقدي الذي كان النتيجة الحاسمة للحجج التي قدمها الشاعر، إذ كان مسبوقاً بمقدمات (الوقائع)، التي تجعل الجمهور يُذعن ويسلم للنتيجة المصرَّح بها في البيت الأخير في قوله:

تراثُ محمدٍ لكم وكنتم أصولَ الحقّ إذ نفي الأصولُ

لقد تمكَّنَ الشاعر من خلال المقدمات أن يفتح بوابة الحجاج على خصومه، فقد احتج بحجة السلطة وهو الميراث الذي يؤول للأقرب، لأهمية القربى في الحقل السياسي، فالقربى والنسب من المسائل التي يبرز فيها الحجاج خصوصاً في الخطاب السياسي.

لقد صوَّر الشاعُر العباسيينَ بأنهم الورثة الحقيقيون للنبي (صلى الله عليه وسلم)، فقضية الميراث كانت من القضايا المهمة التي تنافس عليها العلويون والعباسيون، فقد لعبت القرابة دوراً رئيسا في شعر العصر العباسي الأول، وكان الشعراء قد تناولوا معانٍ جديدة لم تعرفها الحياة الاسلامية من قبل، إذ كانوا يؤيدون حق العباسيين باعتباره حقاً مقدساً موروثاً، ويمدحون الخلفاء على أنهم ظل الله على الأرض[١]،لإضفاء الشرعية على الحكام وهذا ما لمسناه في هذا النص.

أما منصور النمري فقد لجأ إلى الحجةِ نفسها في مدح العباسيين والتعريض بالعلويين فقال:[من الوافر] [٢]

بَني حسنٍ ورهْط بني حُسَينٍ عليكمْ بالسّداد منَ الأمورِ
فقد ذُقْتُم قِراعَ بَني أبيكمْ غداةَ الرّوْعِ بالبيضِ الذُّكورِ
أحينَ شَفَوْكُمُ من كلِّ وتْرٍ وضمُّوكُمْ إلى كَنَفٍ [١]وثيرِ
وجادوكُمْ على ظمإٍ شَديدٍ سُقيتُمْ من نوالِهِمُ الغزيرِ
فما كانَ العقوقُ لهمْ جزاءً بفعلهمُ وأدى للثؤورِ
وإنّكَ حينَ تُبلغهم أذاةً وإن ظَلَموا لمحزُونُ الضميرِ

إنَّ النص الشعري يزخر بمجموعة من الوقائع والأحداث التي استطاع الشاعر أن يوظفها توظيفا حجاجياً، فهو يشير إلى الصراع التاريخي الذي حدث بين الأمويين والعلويين، ويذكِّرهم بأنَّ العباسيين هم أصحاب فضل كبير على العلويين، فهم الذين استطاعوا أن يزيلوا عدوهم ويأخذوا بثأرهم في قوله:

أحينَ شَفَوْكُمْ من كلِّ وتْرٍ وضمُّوكُمْ إلى كَنَفٍ وثيرِ
وجادوكُمْ على ظمأٍ شَديدٍ سُقيتُمْ من نوالِهِمُ الغزيرِ

إشارة إلى الوقائع التي لا يمكن لأحد أن ينكرها، فهي من المسلمات، التي لا يشوبها الشك أو الطعن، وإنَّ اجتثاث السلطة السابقة على يد بني العباس، واقتلاع جذورهم والانتصار عليهم، يعطي الحق لهم في التفرّد بالخلافة، مستعملاً البعد التاريخي الذي يزود المتلقي من خلال الوقائع والأحداث التاريخية الدافع الإقناعي مما يجعل مشروع المعارضة العلوية قلقاً جداً.

(١) ينظر: اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري، د محمد مصطفى هدارة،دار المعارف، القاهرة– مصر، ط ١٩٦٣: ٣٨٦.

(٢) شعر منصور النمري، جمعه وحققه، الطيب العشاش، دار المعارف للطباعة، دمشق– سوريا،ط١،١٩٨١: ٨٧– ٨٨ .

إنَّ الشاعر أراد أن يُذَكِّر العلويين بأنه لا يمكن لكم أن تستمروا في هذا الجو السياسي من غير العباسيين، وهي الحقيقة التي أراد العباسيون أن يرسخوها، وهي ظهورهم بمظهر المحسن والمتفضل على العلويين، فهم الذين ثأروا لأبناء عمومتهم من أعدائهم، ورفعوا الشتم عن آبائهم، والذلّ والهوان والاضطهاد عنهم وعن شيعتهم[١]، وهذا ما كتبه المنصور في كتابه لمحمد النفس الزكية قائلاً: ((ثمَّ خرج منكم غير واحد فقتلتكم بنو أمية، وحرَّقوكم بالنار، وصلبوكم على جذوع النخل، حتى خرجنا عليهم فأدركنا بثأركم إذ لم تدركوه، ورفعنا أقداركم، وأورثناكم أرضهم وديارهم، بعد أن كانوا يلعنون أباك في أدبار الصلاة المكتوبة كما تُلعَن الكفرة ...))[٢].

لقد كانت (الوقائع) الرافد الداعم للحجة في إقناع الخليفة هارون الرشيد، فأمر له بثلاثين ألف درهم، بعد أن أضجره، وكاد أن يفقد حياته بسبب أبيات قالها [٣].

فلولا العباسيون لاستمرَّ الظلم والقتل تجاه الحزب العلوي، إذ يركَّز الشاعر على حدث الهزيمة لإثباته بما يوضحه خطابه الإقناعي عبر تسلسل الأحداث والوقائع التي ذكرها الشاعر، إذ إنَّ الصراع الذي دار بين الحزبين يتخذ شعر المديح لبني العباس، وإبراز مآثرهم ومناقبهم، والكشف عن الوقائع التي تشير إلى هزيمة خصومهم، هو أسلوب للرد على أيديولوجيات الأحزاب والحركات والثورات السياسية المعارضة.

لقد أعطى الشاعر لخطابه بداية مؤثرة، من خلال الوقائع، فهي وسيلة من وسائل الإقناع المشاهدة والمعاينة التي عاصرها الناس، أو نقلت إليهم ممن يعتقدون مصداقيته، فلا تقبل أيَّ مجال للدحض أو الشك،فهي قريبة من أذهان الناس، وهي تعقد الاتفاق بين المقدمات والنتائج، لتكون نوعاً من الإقناع، فحجيتها تجعل المتلقي يذعن لهذه الأحداث التي وقعت حقيقة لا فرضاً، والتي لا يستطيع أمامها إلَّا التسليم والقبول.

وقد جاءت هذه الحجة على لسان العتابي[٤] إذ يقول [من الطويل]:[٥]

---

(١) ينظر: التشيع وأثره في شعر العصر العباسي الأول، د محسن غياض، تقديم د شوقي ضيف،مطبعة النعمان، النجف الأشرف،ط ١٩٧٢: ٥٧ .

(٢) الكامل في اللغة والأدب، أبو العباس محمد بن يزيد المبرد، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة دار النهضة مصر للطبع والنشر، (د.ت.ط) : ٤ / ١١٩ .

(٣) ينظر: الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني، تحقيق الدكتور إحسان عباس والدكتور إبراهيم السعافين والأستاذ بكر عباس،دار صادر، بيروت– لبنان،ط٥،١٣:٢٠٠٥ /١٠٠

(٤) هو كلثوم بن عمرو بن أيوب بن عبيد بن حبيش بن أوس بن مسعود ابن عمرو بن كلثوم الشاعر ...، شاعر مترسل بليغ مطبوع، متصرف في فنون الشعر ومقدم . من شعراء الدولة العباسية، ومنصور النمري تلميذه وراويته، وكان منقطعا إلى البرامكة، فوصفوه للرشيد ووصلوه به . الأغاني:١٣ / ٧٤ .

(٥) عيون الأخبار، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت٢٧٦هـ)، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، القاهرة، د.ت ط: ١ / ٢٣١ – ٢٣٢.

تَلـومُ علـى تَـركِ الغِنَـى بأهليّـةٌ ... طَوى الدّهرُ عَنها كـلّ طَـرفٍ وتالِـد

يَسـرُّكِ أنّـي نِلـتُ مَـا نـالَ جعفـرٌ ... من المُلكِ أو مَا نالَ يَحيَـى بـنُ خالـد

وأنّ أميـرَ المـؤمنينَ أغصّـنـي ... مغصّـهما بالمشـرقاتِ البـوارد

ذَرينـي تَجِئنـي ميتتـي مُطمَئنّـةٌ ... ولَـم أتقحّـم هَـولَ تلـكَ المَـوارِد

فـإنّ كريمـاتِ المعـالي مَشـوبةٌ ... بمسـتَودعاتٍ فـي بطـونِ الأسـاود

يقدم الشاعر نصاً يرد فيه على زوجته التي كانت تلومه على ابتعاده عن السلطة، بعد أن أوصلته يد البرامكة إلى الرشيد، ثمَّ توارى عن الأنظار، فقد جدَّ الخليفة في طلبه بعد الإيقاع بالبرامكة ؛ لأنه كان قرباً منهم، فضلاً عن ذلك فإنَّ تلميذه منصور النمري كانَ يُكثر من الدَّسِ عليه، وكان حريصاً على الإيقاع به أمام الخليفة[١].

فالشاعر يوجه خطابه الحجاجي إلى زوجته والتي كانت تلومه على تخلِّيهِ عن الأموال والهدايا التي يتمتع بها الشعراء، وهو منعزل عن الحياة السياسية، فاحتجَّ عليها بقوله:

يَسرُّكِ أنِّي نِلتُ مَا نالَ جَعفرٌ ... مِن المُلكِ أو مَا نالَ يَحيَى بنُ خالدِ

فكانت من الوقائع المشاهدة المتحققة والتي أدت إلى نكبة جعفر بن يحيى البرمكي، وأبوه يحيى بن خالد، فقدَّم الشاعر لوناً من ألوان أمزجة السلطة الحاكمة، وهو ما آل إليه مصير البرامكة سنة ١٨٧هـ [٢]، فحاول أن ينأى بنفسه عن أعتاب قصور الخلفاء؛ لأنَّ واقعة النكبة ومصير كل من ارتبط بالسلطة العباسية لا زال شاهداً على عصرهم، فإنَّها الفكرة قد تكونت لديه فأراد أن يستثمرها ليجعلها المبرر لعزلته، ولا سيما أنَّه قد قيل له لمَ لا تتقرب بشعرك إلى السلطان؟،

لقد كانت (الوقائع) الرافد الداعم لجوابه النقضي، والتي تجعل تأويلها يحتكم إلى عقل المتلقي، فتفتح المقدمات المعززة للنتائج، والتي يرتكز عليها الخطاب الحجاجي، فكوَّنت نقطة انطلاق فأجاب: ((لِأَنِّي رَأَيْته يُعْطي عشرَة آلَاف فِي غير شَيْء ويرمي من السُّور فِي غير شَيْء، وَلَا أَدْرِي من أَي الرجلَيْن أكون))[٣].

لقد كانت الوقائع الرافد الداعم لجوابه النقضي والتي تجعل تأويله يحتكم إلى عقل المتلقي، فتفتح أبواباً مغلَّقةً معززة التصديق بالنتائج، التي يرتكز عليها الخطاب الحجاجي، فكانت النقطة التي ينطلق منها الشاعر، فتقدِّمُ الإقناع نحو خطوة أخرى لكسر أفق المتلقي، فَيَردُّ بطريقة التحذير من مغبَّةِ المصير المجهول، والمتمثل بنقض الأطروحة التي تدعو إلى الركون للأنظمة الحاكمة آنذاك، فالشاعر قد وجه حديثه إلى المتلقي على أساس أنَّ الوقائع معلومة لديه، بل ليست غريبة عنه، حتى استطاع أن يجعل المخاطب والمتلقي بنفس المنزلة في الجواب، لا سيما أنَّ الاستفهام الذي قد وجهه الشاعر، يتطلب جواباً منفياً لصحة القضية، فبالنتيجة يتحصل الإقرار من قبل المتلقي بالرفض القاطع حول القضية المفترَضة، في قوله: **يسرّكِ أني نلتُ ما نال جعفـرٌ**،

(١) ينظر: الشعر والشعراء في العصر العباسي، مصطفى الشكعة، دار العلم للملايين، بيروت، د.ت.ط: ٥١١.

(٢) ينظر: تاريخ الطبري، تاريخ الرسل والملوك: ٨ / ٢٨٧.

(٣) المُسْتَطرَف في كُلِّ فَن مُسْتَظرَف، شهاب الدين محمد بن أحمد الأبشيهي (ت ٨٥٠هـ)، تحقيق محمد خير طعمة الحلبي، دار المعرفة، بيروت، ط ٥، ٢٠٠٨ م: ١٣٧ .

فحاول أن يدحض الأطروحة الموجهة إليـــه بالقياس المضاد من خلال صهر الفكرة في قالب المقارنة بمصير البرامكة الذين قُتِلوا شرَّ قِتلَة، فجعلهم الرشيد عبرة في كلِّ زمان ومكان.

فبعد أن حصل الشاعر عن الجواب المسكوت عنه من قبل المتلقي، بدأ بالإفصاح عن الهاجس الذي يقلق كيانه، وهو في قوله: **(ذَريني تَجئني مِيتـــتي مُطمَئنّـــةٌ)** ، فالخوف من المصير المحتوم الذي يملأ قلبه هو الذي جعله يبتعد عن السلط الحاكمة، أمَّا الوقائع المفترضة فقد جاءت على لسان الشاعر أبي العتاهية في مدح المهدي فقال[من المتقارب]:(١)

أَتَتْهُ الخِلافَةُ مُنْقادةً ... إِلَيْهِ تُجَرِّرُ أَذْيالَها

فلم تَكُ تَصْلُحُ إِلاَّ لهُ ... فلم تَكُ تَصْلُحُ إِلاَّ لهُ

ولوْ رامها أَحَدٌ غَيْرُهُ ... لَزُلْزِلَتِ الأَرْضُ زِلْزَالَها

يقدم الشاعر نصاً مدحياً للخلفة المهدي، وهذا النص يتضمن التمثيل بالصور، لغرض التشويق والإثارة، ولأجل الاستحواذ على عواطف المتلقي، فمن خلال هذه الأبيات استطاع الشاعر أن يبلور فكرة دعائية سياسية عبَّرَ عنها بإسلوبه السهل الممتنع وهي قوة وسطوة السلطة تجاه خصومها، استطاع من خلالها أن يكسب الخليفة وجمهور السلطة الحاكمة التي يمثلها الخليفة المهدي آنذاك.

لقد قدَّمَ الشاعر واقعة مفترضَة في قوله: **(ولو رامها أحدٌ غيره)** بالاقترانية الشرطية فهو مجرد افتراض وهو – فيما يبدو – ـــحاضر في أذهان معارضيه، وجاء الجواب بواسطة الرابط الحجاجي وهو **(اللام)** في قوله: **(لزلزلت الأرض زلزالها)** فيتحول من مجرد افتراض إلى حقيقة واقعية تعصف بالحركات والأحزاب الأخرى؛ لإثبات قضايا واقعية تحفل بالبعد الحجاجي، ليعضد ما يقدمه من تخييل يؤدي إلى الإقناع، فهو يعالج هذا المقوم الإقناعي باعتباره مقوماً عقلياً ودعائيًا، يحاول بدوره التأثير النفسي في المتلقي تخييلاً وإقناعيًا، وهذا ما تؤكده الأبعاد الحجاجية من خلال هذه الأبيات التي تخدم السلطة وتدحض خصومها، في مقدرة أدبية وفكرية.

فهذه الفرضية تحاجج وتقنع المتلقي بأيديولوجيتها عبر النص الشعري، إذ لا يمكن أن نتصور مواجهة سياسية بين طرفين دون افتراضات تخيلية تندرج ضمن تساؤلات تدور في أذهان الخصم ولاسيما أنَّ هذه المرحلة كانت تعصف بالحركات المناهضة للخلافة.

استثمر أبو العتاهية هذه الأخطار وصاغها عبر فرضية واقعية، فهو يفترض الخطر قبل وقوعه، ليعطي الإشارة التحذيرية للسلطة والخصم، ويعطي الرد الأقوى والأكثر ردعاً عبر الواقعية المفترضة، إنَّ النتيجة التي يقود إليها منطق الخطاب هو أنَّ هذا النظام قوي جداً لا يمكن لأحد أن يزعزعه هذا من جانب، ومن جانب آخر حث الخليفة أيضاً إكمال ما بدأ به حملته في اجتثاث خصوم الدولة، فهي تعطي للنص وظيفتين حجاجيتين الإقناع الذهني من ناحية، وإنجازية الفعل من ناحية أخـــرى(٢).

(١) ديوان أبي العتاهية، تحقيـــق كـــرم البســـتاني، دار بيروت للطباعة والنشر، ط ١٩٨٦ م: ٣٧٥ .

(٢) ينظر: في نظرية الحجـــاج دراســـات وتطبيقـــات: ١٥٨.

وفي السياق نفسه ما جاء في شعر الشاعر مسلم بن الوليد في مدح القائد يزيد بن مزيد إذ قال [من البسيط] [١]:

والمارقَ ((ابن طريف)) قدْ دلفتَ لـهُ ... بعسكرٍ للمنايا مُسبلٍ هطِلِ

لما رآك مُجِدّاً في منيّتِهِ ... وأنّ دفعك لا يُستطاعُ بالحيَلِ

شامَ النزالَ فأبْرَقتَ [١]اللقاءَ لَهُ ... مُقدِمَ الخطوِ فيها غيرَ مُتكلِ

ماتوا وأنتَ غليلٌ في صدورهم ... وكانَ سيفُكَ يُستشفى من الغُلَلِ

لو أنّ غيرَ شَريكيّ [٢] أطافَ بهِ ... فازَ الوَليدُ بقدح الناضلِ [٣]الخصلِ

وقمتَ بالدينِ يومَ الرسِّ[٤] فاعتدلتْ ... منهُ قوائمُ قد أوفتْ على ميلِ

ما كانَ جمعُهُمُ لما لقيتَهم ... إلّا كمثلِ نعامٍ ريعُ منجفلِ

تابوا ولو لم يتوبوا من ذنوبهم ... لآب جيشك بالأسرى وبالنفلِ

إنَّ أبيات الشاعر تقدم لنا النتائج العسكرية الحاسمة التي آلتْ إليها المعركة مع رأس الخوارج (الوليد بن طريف)، والذي كان يمثل العقبة الأساس بوجه السلطة الحاكمة، فالطريقة التي يقدمها الشاعر تفتح النص على تأويلات متعددة تجعل من المعنى مفتوحاً على قراءات عدَّة، منها القراءة التي تأخذ الجانب الإقناعي الأساس في الخطاب، لذا ينقلنا النص الى عام ١٧٩ هـ إذ " نازل ابن مزيد ابن عمه الوليد بن طريف ــ بعد أن أَعْجَزَ القادة ــ فقتله وصار سيفه الداء الذي أخذ الخارجي، ولو كان غير يزيد متعقباً ابن طريف لنجا، ولكنَّ ابن مزيد جعل جيش ابن طريف كالنعام المراع فتاب الخوارج بعدها "[٢].

لقد استند الشاعر على مقدمات يقينية فاستعمل حجة الوقائع المفترضة في مواضع عدة كما في قوله:

لو أنّ غيرَ ((شَريكيٍّ)) أطافَ بهِ ... فازَ الوَليدِ بقدح الناضلِ الخصلِ

و**((الشريكيّ))** نسبة إلى بني شريك من بني شيبان الذي ينتمي إليهم يزيد بن مزيد الذين اشتُهِروا بالشجاعة، فقد كان الوليد بن طريف شريكيّ أيضاً .

إنَّ الشاعر يفترض لو أن غير هذا الشجاع يزيد بن مزيد لكان الواقع مختلفاً، و لتغيَّرتْ النتائج لأنَّ الخصم لم يكن سهلاً، فالفرضية التي افترضها الشاعر تزيد من قيمة المعاني المدحية من ناحية وتعطي رسالة للجهات المعارضة من ناحية أخرى، لقد أُشبِعَتْ هذه القطعة المدحية بالواقعية المفترضة، أما الفرضية الثانية ففي قوله:

تابوا ولو لم يتوبوا من ذنوبهم ... لآب جيشك بالأسرى وبالنفلِ

إنَّ ذكر نتائج النصر في المعركة وهزيمة الخصم يرفع من قيمة الخطاب الإقناعي خصوصاً لدى الممدوح، فإنَّ ذكر توبة الخوارج بعد هزيمة قائدهم يُشكِّل محور الحجة الافتراضية، فقد طرح حجته الافتراضية لولا توبتهم لرجع جيشك بالأسرى وبالغنائم. فقد حول الفرضية إلى واقع ملموس ومشاهد، وهو رجوع الجيش بلا غنائم، إذ أصبح القائد يزيد بن مزيد أسطورة رمزية بطولية لدى الدولة من ناحية ومخيفة للأحزاب والحركات المناهضة للسلطة العباسية من ناحية أخرى.

إنَّ هذه الممارسة النصية المكررة التي أشبعتْ هذه المقطوعة تعطي للمتلقي الطابع الواقعي المترتب على نتائج عملية، وهي النصر تلوَ النصر، وهذه

(١) شرح ديوان صريع الغواني مسلم بن الوليد الانصاري (ت٢٠٨هـ)، عُني بتحقيقه والتعليق عليه سامي الدهان، طبع دار المعارف، مصر، ط ٣، د ت.ط: ١٨– ٢٠ .

(٢) التيار الاسلامي في شعر العصر العباسي الأول، د مجاهد مصطفى بهجت، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، العراق، ط١، ١٩٨٢: ٣٤٧ .

النتائج قطعاً تؤثر على استقرار وسلمية العملية السياسية.

إنَّ اللافت للانتباه هو أنَّ هذه النتيجة التصديقية الإقناعية للبطل المخاطَب في هذه القصيدة ليست هي غاية الخطاب، إذ إنَّ الممدوح هو جزء من منظومة المؤسسة العباسية الحاكمة، فإنَّ دعاية الانتصار الإعلامية ماهي إلَّا دليل على قوة وسطوة هذه الدولة، فمحاولة الشاعر للتأثير في المتلقي عن طريق طرح الايجابيات الشخصية تتنامى في تشكيل صورة الدولة الحاكمة، فإشارة الشاعر الى القوة في هذه الأبيات تحمل في طياتها رفع مقام السلطة الحاكمة؛ وذلك لأنَّ المعاني التي انطلق منها الشاعر حول شخصية القائد منبثقة من الواقع، إذ إن القوة والصلابة في صفات الشخصيات المهمة في الدولة تساهم في صناعة مكانة السلطة الحاكمة ووضاعة خصومها، وهي مطلب فكري واقناعي يسعى إليها الحكَّام وقادة الدول.

٣.المبحث الثاني: الحقائق

قد يستند المحاجج على الحقائق ويربطها بالوقائع من أجل تكوين مقدمات حجاجية له ((وهي أنظمة أكثر تعقيداً من الوقائع، وتقوم على الربط بين الوقائع. ومدارها على نظريات علمية أو مفاهيم فلسفية أو دينية، وقد يعمد الخطيب إلى الربط بين الوقائع والحقائق من حيث هي موضوعات متفق عليها ليُحدِثَ موافقة الجمهور على واقعة معينة غير معلومة))[١].

لقد فرق بيرلمان بينها وبين الوقائع فقال: ((إنَّ الوقائع تعيّن مواد اتفاق دقيقة ومحصورة، في حين أنَّ المقصود بالحقائق: أنساق أكثر تعقيداً، تتعلق بصلات بين الوقائع سواءٌ تعلق الأمر بنظريات علمية أو بتصورات فلسفية أو دينية تتجاوز التجربة))[٢].

والسؤال الذي يُطرَح بهذا الصدد هو كيف يمكن الاعتراض على واقعة أو حقيقة وإقصاؤها؟ يجيبنا بيرلمان على هذا السؤال وهو أنَّ الطريقة الأنجع لذلك هو أن تتعارض مع وقائع وحقائق أخرى، إذ تكون أكثر وثوقاً من الأولى وسيكون الأفضل إذا ثَبتَ تعارضهما مع رزمة من الحقائق أو الوقائع[٣].

إنَّ اختيار رزمة الحقائق والوقائع على حساب الحقيقة الأولى أثناء التعارض، قد تؤدي إلى ثورات ثقافية ذات طابع علمي أو فلسفي أو ديني، وقد لا يعطي التعارض أية نتيجة حاسمة وهذه الحالة نادرة[٤].

فمن الحقائق العلمية ما جاءت على لسان صفوان الأنصاري شاعر المعتزلة
في الرد على بشار بن بُرد في تفضيله النار على الأرض فقال[من الطويل] [٥]:

---

(١) في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات: ٢٤ .

(٢) النظرية الحجاجية عند شاييم بيرلمان، د الحسين بنو هاشم،دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت –لبنان، ط١، ٢٠١٤: ٤٣.

(٣) ينظر: المصدر نفسه: ٤٣ .

(٤) المصدر السابق: ٤٣.

(٥) البيان والتبيين، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت٢٥٥هـ)، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، الناشر مكتبة الخانجي بمصر، ط ٢، ١٩٦٠ م: ١ / ٢٧ .

زعمتَ بأنّ النارَ أكـرمُ عنصـراً وفي الارضِ تَحيا بالحجارةِ والزَنْد

ويَخلقُ فـي أرحامهـا وأرومهـا أعاجيبُ لا تُحصَى بخَطٍ ولا عقـد

وفي القَعرِ من لجِ البحارِ منَـافعٌ من اللؤلؤِ المكنُونِ والعَنبَرِ الوَردِ

كَذلكَ سرُّ الأرضِ في البحرِ كُلـهِ وفي الغَيضَةِ الغَنّاءِ والجَبلِ الصَّلد

ويختم فضائل الأرض – التي منها خلقنا – بالعبرة والحكمة فيقول:[١]

مفاخرُ للطينِ الذي كانَ أصـلَنا ونَحنُ بنُودُ بلا شكٍّ ولا جحد

فـذلكَ تـدبيرٌ ونفـعٌ وحكمـةٌ وأوضحُ بُرهانٍ على الواحد الفردِ

استطاع الشاعر أن يرد بهذا النص على ممثل شعراء الشعوبية الذين كانوا يتكلمون بلسان حزب الموالي، فأصدق من عَبَّرَ عن اتجاهاته وآرائه هو بشار بن بُرد إذ كان المتحدث الرسمي باسم الشعوبيين في القرن الثاني الهجري[٢]، فقال البيت المشهور[من البسيط]:

الأرضُ مظلِمَةٌ والنارُ مشرِقَـةٌ والنارُ معبودة مذ كانـتْ النارُ

إنَّ خطاب الشاعر الحجاجي لا ينطوي على معان أحادية التأثير، بل تسعى إلى تحقيق غايات غير محدودة تستهدف (الإقناع) على الدوام بغية أحداث خلخلة في عقلية الجمهور المتفاعلين مع الايديولوجية الشعوبية، فقد استخدم الشاعر بعض الحقائق العلمية وهي محل اتفاق لدى الجمهور، إذ بيَّنَ فضائل الأرض وما تحتوي من خيرات في البر والبحر، فافتتح القصيدة بكلمة (**زعمتَ**) وهي أكثر ما يُقال فيما يُشَكُ فيه [٣] فالبيت الأول في قوله:

زعمتَ بأنَّ النارَ أكرمُ عنصراً وفي الارضِ تَحيا بالحجارةِ والزَنْدِ

يمثل محور الحقيقة التي أراد الشاعر أن يشير إليها، فاستعمل النقض بالحقائق التي لا يمكن أن تتغيَّر، كيف تكون النار هي أكرم عنصر وهي التي لا يمكن لها أن توجد الّا من الأحجار والأرض، و كيف تزعم أن النار هي أصل الوجود، فأخذ الشاعر يعدد فضائل الأرض في بَرِّها وبَحرها، أمّا الأبيات الأخيرة التي تمثل الحقيقة الكبرى التي طرحها القرآن، وهي أنَّ الإنسان خلق من تراب، وأنه أصل كل الخلائق وهذه حقيقة علمية ثابتة، وهي برهان واضح يدل على أنَّ الخالق لكل هذه الأشياء هو واحد وهو الله تعالى.

فقد انطلق الحجاج من الحقائق العلمية الثابتة المبرهن عليها ((لإبطال مقالة أهل الزندقة "الثنوية" الزاعمة بأنَّ العـالم يقـوم على النـور والظلمة فيثبت صفوان – في القصيدة – بالدليل أنَّ الأرضَ خيرٌ من النار، وذلك لما حملت في جوفها من المعادن وفوق ظهرها من المخلوقات العجيبة التي تدل على قدرة الله الفرد الصمد الذي لا شريك له))[٤] .

وانمازَتْ حركة الزندقة ببُعد سياسي خطير على الدولة العباسية، ف((كان الزنادقة من الموالي الفرس يرومون تفسيخ الدولة العربية الإسلامية، وتصديع كيانها، وتدمير أخلاقها ومثلها وقيمها ونسف الإسلام وهو عمادها وقوامها، وبنسفه تتحطم قواعدها ودعائمها، وتتهدم قلاعها وحصونها، ويتهيأ لهم أن

(١) البيان والتبيين: ١ / ٢٩ .

(٢) نظر: اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري: ٤٠٩ .

(٣) ينظر: القاموس المحيط: ١١١٧.

(٤) التيار الاسلامي في شعر العصر العباسي الأول: ٣٥٣ .

يُحْيُوا تراثهم الثقافي والديني، ويُعيدوا مجدهم السياسي على أنقاضها))[١] .

لقد لجأ الشاعر الى الحقائق العلمية وربطها بالواقع من أجل إنتاج خطاب سجالي نقضي معتمداً على حقائق لا تقبل الشك أو الدحض ؛ ليُبَرهِنَ على أنَّ الأرض أكرم من النار، وهو شكل جديد من أشكال الصراع الأدبي لم يكن له وجود في العصر الأموي، سلكه المعتزلة الذين تصدوا للشعوبية والزنادقة، ليردوا على الأفكار المستوردة من المجوس الثنوية وإبطال عقائدهم الضالّة، فلمذهب المعتزلة دور ريادي فكري وعقلي في دحض هذه الفئة ؛ لعل هذا الذي جعل لهم دوراً في سياسة الدولة في العصر العباسي الأول، ف ((الكثير من نظريات مذهب كمذهب المعتزلة لا يمكن أن يُفهَم بدون معرفة هذه الخصومات العنيفة التي كانت تقوم بين كبار المعتزلة وبين الزنادقة، والتي كان يثيرها هؤلاء الأخيرون فيُضطَر أصحاب الإعتزال الى أن يتخذ موقفاً بإزائها خاصة)) [٢] .

فالدحض بالحقائق العلمية الموثوق بصحتها تعطي نتائج يقينية في التسليم والإذعان، ولا سيما إذا كانت حقائق مبنية على مفاهيم علمية وطبيعية تجريبية، فإنَّ السامع يضطر إلى الإقتناع بها، وفي الوقت تفسه فإنَّه لا يستطيع الخوض في معارضتها .

ونلاحظ صدى الحقائق الدينية في شعر أبي العتاهية يستعطف الرشيد وهو محبوس في سجنه فأطلقه لقوله [من الوافر]: [٣]

أمـا واللّـه إنَّ الظلـمَ لُـومُ ... وما زال المُسيءُ هو الظّلومُ

إلى ديّـانِ يـومَ الـدّينِ نَمْضِـي ... وعنـدَ اللّـهِ تَجتمـعُ الخُصـومُ

لأمـرٍ مَـا تَصَـرّفتِ الليـالي ... وأمـرٍ مـا تُوَلّيـتِ النُّجـومُ

ستعلمُ فـي الحسـاب اذا التقينـا ... غـداً عنـدَ الإلـهِ مـن الملـومُ

سينقطعُ التَـروّحُ [٣]عـن أنـاسٍ ... مـن الـدنيا وتَنقطـعُ الهمـومُ

إلى قوله:

ألاَ يأيّهـا الملـكُ المُرَجّـى ... عَليـهِ نَـواهِضُ الـدنيا تَحـومُ

وخَلّصْـني تُخَلّـصْ يـومَ بَعْـثٍ ... إذا للنـاسِ بُـرِّزَتْ الجَحِـيمُ

يرسل أبو العتاهية هذه القصيدة من سجنه، ويؤكد فيها على بعض المضامين الحقيقية، وهي الحقائق الدينية وما تؤول إليه الطبيعة الإنسانية، ويجعلها مقدمة له لكي يجعل خطابه مقبولاً، وليحمل الرشيد على الإذعان لندائه والتأثير بخطابه، بعد أن زَجَّ به في السجن بعد موت الهادي حبساً سياسياً [٤].

لقد خاطب الشاعر الخليفة بقول الفاهم الزاهد الذي يُذَكِّر بالحقيقة التي لا يمكن لأحد ان يُنكرها في قوله:

إلى دَيَّانِ يوم الدِّين نَمْضِي
وعندَ اللَّهِ تَجتمعُ الخُصومُ

وكذلك قوله:

ستعلمُ في الحساب اذا التقينا ... غداً عندَ الإلهِ من الملومُ

---

(١) الزندقة والشعوبية في العصر العباسي الأول، الدكتور حسين عطوان، دار الجيل، بيروت ـــ لبنان، د ط،: ٢٣ .

(٢) من تاريخ الالحاد في الاسلام، عبد الرحمن بدوي، الناشر مكتبة النهضة المصرية، القاهرة،ط ١، ١٩٤٥ م: ٣٢ .

(٣) ديوان أبي العتاهية: ٣٩٨ – ٣٩٩ .

(٤) ينظر: أبو العتاهية شاعر الزهد والحكمة، الدكتور محمود فرج عبد الحميد العقدة، دار العلوم للطباعة والنشر، د ط، ١٩٨٥ م: ١/ ٢٤٦ .

وهي أنَّ الظلم لا يمكن أن يدوم، ولا بدَّ لهذا الظالم أن يقف مع المظلوم أمام أله، وهذه حقيقة تؤكد عليها جميع الأديان السماوية، وهي حقيقة دينية متفق عليها، وباعتبارها من العناصر الموضوعية التي تفرض نفسها على الجميع [١]، فقد استطاع أن يختار الفكرة الملائمة والمؤثرة لطبيعة المخاطَب ويجعلها البداية التي ينطلق منها في خطابه الإقناعي ؛ ليحقق بها غاياته التي تستهدف الاذعان والاقناع، وليحاول أن يضع الأمور في نصابها بغية إحداث خلخلة في عقلية المتلقي .

لقد استقى الشاعر خطابه السياسي من تجربته الزهدية ((إذ كان يمزج بين عقيدة الإسلام وعقيدة المانوية))[٢]، ليؤثر في المتلقي ويحاول أن يغيَّر من قناعاته، فيدخل إلى الغرض المصرَّح به في القصيدة وهو في قوله:

ألاَ يا أيّها الملك المُرَجَّـى عليهِ نَواهِضُ الدنيا تَحومُ

أقِلْني زَلَّةً لم أَجْرِ منـها إلى لَومٍ ومـا مثلي مَلومُ

وخَلِّصْني تُخَلَّصْ يومَ بَعْثٍ إذا للناس بُرِّزتْ الجَحِيمُ

فمخاطبته ب (**الملك**) هو لإضفاء الهيبة على المخاطب، فهي ((حجة ترتكز على اعتبار أنَّ المتلقي الذي نريد إقناعه هو (السيد) ومن هنا يصبح المتلقي أحد أطراف المشروع الحجاجي الفاعلين، مما يوحي له بقبول الاطروحة التي يعيد تأطيرها من جديد في ذهنه بما يتناسب مع تأويله الممنوح له من سلطة السيادة التـي غالباً مـا تُستَخدَم في سياق درامي تهيمن عليه القوة)) [٣].

لقد طلب الشاعر تحقيق العدالة في قوله (**أقلني زلة**) وهو طلب منطقي وواقعي مملوء بالرجاء، مع ملاحظة أنَّ خطاب الشاعر يرمي إلى تأييد سلطة الرشيد السياسية وليس له طابع مناوئ للدولة .

إنَّ إثارة مشاعر المتلقي تُعَد من الركائز المهمة في عملية الاقناع، ولاسيما إذا كانت المرجعية فيه عَرضٌ لحقائق تكون محل اتفاق بين المتلقين، وهذا الذي عمد إليه الشاعر .

لقد استطاع أبو العتاهية أن يتخطى تلك العوالم في سجنه من خلال تلك المقدمات الحجاجية، وأن يقنع الرشيد ببراءته وإطلاق سراحه، بفضل الحقيقة الدينية التي احتج بها، فهو يحاول بهذا الأسلوب أن يؤسس لشكل يجعل فيه المخاطَب داخل دائرة التأثير الحجاجي ؛ لكيلا يترك له مجالاً للرد، فحصل له ما أراد، فقد تمكَّنَ من إقناعه، وأمر بإطلاق سراحه من السجن [٤]، فحقق الإقناع والتأثير من ناحية ، والسرعة في إنجاز الفعل من ناحية أخرى، وهذه هي أهم نتائج الخطاب الحجاجي .

٤.الخاتمة

١- إن الخطاب الشعري له إمكانية تأثرية في المتلقي،وله طاقة حجاجية قوية، لا تقل أهمية عما يؤديها الخطاب النثري، فهو يهدف إلى استمالة المتلقي

(١) ينظر: نظرية الحجاج عند شاييم بيرلمان: ٤٣ .

(٢) تاريخ الادب العربي العصر العباسـي الأول: ٢٤٢ .

(٣) حجاجية الصورة في الشعر العربي القديم، د محمـد حسن أبو المجد، دار النابغة للنشر والتوزيـع، طنطـا – مصر، ط١، ٢٠٢٠: ١٨٦

(٤) ينظر: الأغاني: ٤ / ٥٦

والتأثر فيه، إذ إن الخطاب الشعري يحظى بالطاقة الاقناعية والتأثرية، فضلاً عن رسم الصورة التصويرية والانفعالية فيه .

٢- إن من ضمن تقنيات حجج الابتداء اليقينية هي الوقائع، التي وجدت في النص الشعري الذي يزخر بمجموعة وقائع والأحداث التي استطاع الشاعر أن يوظفها توظيفا حجاجيا، مستندا إلى وقائع تأريخية التي حصلت بين الاحزاب العلوية والعباسية .

٣- لقد أعطى الشاعر لخطابه بداية مؤثرة، من خلال الوقائع، فهي وسيلة من وسائل الإقناع المشاهدة والمعاينة التي عاصرها الناس، أو نقلت إليهم ممن يعتقدون مصداقيته، فلا تقبل أيَّ مجال للدحض أو الشك،فهي قريبة من أذهان الناس، وهي تعقد الاتفاق بين المقدمات والنتائج،

٤- لقد لجأ الشاعر في خطابه الى الحقائق العلمية وربطها بالواقع من أجل إنتاج خطاب سجالي نقضي معتمداً على حقائق لا تقبل الشك أو الدحض، وهو شكل جديد من أشكال الصراع الأدبي لم يكن له وجود في العصر الأموي، سلكه المعتزلة في العصر العباسي الذين تصدوا للشعوبية والزنادقة.

٥- استطاع الشاعر أن يختار الفكرة الملائمة والمؤثرة لطبيعة المخاطَب، ويجعلها البداية التي ينطلق منها في خطابه الإقناعي ؛ ليحقق بها غاياته التي تستهدف الاذعان والاقناع، وليحاول أن يضع الأمور في نصابها بغية إحداث خلخلة في عقلية المتلقي .

المصادر والمراجع

١. أبو العتاهية شاعر الزهد والحكمة ، الدكتور محمود فرج عبد الحميد العقدة ، دار العلوم للطباعة والنشر، د ط ، ١٩٨٥ م .

٢. اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري، د محمد مصطفى هدارة،دار المعارف، القاهرة– مصر، ط ١٩٦٣ .

٣. الأعلام،قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، خير الدين الزركلي، طبعة دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط ١٥، لسنة ٢٠٠٢م .

٤. الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني، تحقيق الدكتور إحسان عباس والدكتور إبراهيم السعافين والأستاذ بكر عباس،دار صادر، بيروت– لبنان،ط٥،٢٠٠٥ .

٥. بلاغة الاقناع في المناظرة، د عبداللطيف عادل، دار ومكتبة عدنان، بغداد – العراق، ط١، ٢٠١٣.

٦. البيان والتبيين، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت٢٥٥هـ)، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، الناشر مكتبة الخانجي بمصر، ط ٢، ١٩٦٠م .

٧. تاريخ الطبري، تاريخ الرسل والملوك: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت٣١٠هـ)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، ط٢، دت.

٨. التداولية والشعر قراءة في شعر المديح في العصر العباسي، الدكتور عبد الله بيرم، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط١، ٢٠١٤ م .

٩. التشيع وأثره في شعر العصر العباسي الأول، د محسن غياض، تقديم د شوقي ضيف،مطبعة النعمان، النجف الأشرف،ط ١٩٧٢.

١٠. التيار الاسلامي في شعر العصر العباسي الأول، د مجاهد مصطفى بهجت، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، العراق، ط١،١٩٨٢.

١١. الحجاج في البلاغة المعاصرة، محمد سالم محمد الأمين،دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت_ لبنان، ط١ ٢٠٠٨ .

١٢. الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه، د سامية الدريدي، عالم الكتب الحديث، إربد – الأردن، ط١، ٢٠١٠ .

١٣. الحجاج في شروح التلخيص ، ميثم قيس الزبيدي، أطروحة دكتوراه، قسم اللغة العربية، جامعة القادسية، كلية التربية، ٢٠١٦ م .

١٤. الحجاج مفهومه ومجالاته، د. حافظ اسماعيلي علوي، عالم الكتب الحديث، إربد– الأردن، ط ١،٢٠١٠ م .

١٥. حجاجية الصورة في الشعر العربي القديم، د محمد حسن أبو المجد، دار النابغة للنشر والتوزيع، طنطا –مصر، ط١، ٢٠٢٠.

١٦. ديوان أبي العتاهية، تحقيق كرم البستاني، دار بيروت للطباعة والنشر، ط ١٩٨٦

١٧. الزندقة والشعوبية في العصر العباسي الأول، الدكتور حسين عطوان، دار الجيل، بيروت لبنان، د ت.ط .

١٨. شرح ديوان صريع الغواني مسلم بن الوليد الانصاري (ت٢٠٨هـ)، عُني بتحقيقه والتعليق عليه سامي الدهان، طبع دار المعارف، مصر، ط ٣، د ت.ط:

١٩. شعر إبراهيم بن هرمة القرشي، تحقيق محمد نفّاع، وحسين عطوان، مطبوعات مجمَع اللغة العربية بدمشق، لسنة ١٩٦٩ م

٢٠. شعر منصور النمري، جمعه وحققه، الطيب العشاش، دار المعارف للطباعة، دمشق– سوريا،ط١،١٩٨١.

٢١. الشعر والشعراء في العصر العباسي، مصطفى الشكعة، دار العلم للملايين، بيروت، د ت.ط .

٢٢. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت:

٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين – بيروت، ط٤، ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م .

٢٣. عيون الأخبار، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت٢٧٦هـ)، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، القاهرة، د.ت ط .

٢٤. في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات، د عبدالله صولة، مسكيلياني للنشر،تونس .ط١، ٢٠١١.

٢٥. القاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادى (ت: ٨١٧هـ)، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ط٨، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م.

٢٦. الكامل في اللغة والأدب، أبو العباس محمد بن يزيد المبرد، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة دار النهضة مصر للطبع والنشر، (د.ت.ط) .

٢٧. لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقي (ت: ٧١١هـ)، دار صادر – بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ .

٢٨. المُسْتَطرَف في كُلِّ فَن مُسْتَظرَف، شهاب الدين محمد بن أحمد الأبشيهي (ت ٨٥٠هـ)، تحقيق محمد خير طعمة الحلبي، دار المعرفة، بيروت، ط ٥، ٢٠٠٨ م .

٢٩. من تاريخ الالحاد في الاسلام، عبد الرحمن بدوي، الناشر مكتبة النهضة المصرية، القاهرة،ط ١، ١٩٤٥ .

٣٠. النظرية الحجاجية عند شاييم بيرلمان، د الحسين بنو هاشم،دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت –لبنان، ط١،٢٠١٤ .

References

1. Abu al-‘Atahiyah Sha‘ir al-Zuhd wa al-Hikmah, by Dr. Mahmud Faraj Abd al-Hamid al-‘Aqdah, Dar al-‘Ulum for Printing and Publishing, n.ed., 1985.
2. Ittijahat al-Shi‘r al-‘Arabi fi al-Qarn al-Thani al-Hijri, by Dr. Muhammad Mustafa Haddarah, Dar al-Ma‘arif, Cairo, Egypt, 1963.
3. Al-A‘lam: Qamus Tarajim li-Ashhar al-Rijal wa al-Nisa’ min al-‘Arab wa al-Musta‘ribin wa al-Mustashriqin, by Khayr al-Din al-Zirikli, Dar al-‘Ilm lil-Malayin, Beirut, Lebanon, 15th ed., 2002.
4. Al-Aghani, Abu Al-Faraj Al-Isfahani, edited by Dr. Ihsan Abbas, Dr. Ibrahim Al-Saafin and Professor Bakr Abbas, Dar Sader, Beirut - Lebanon, 5th edition, 2005.
5. Balaghat al-Iqna‘ fi al-Munazarah, by Dr. Abd al-Latif Adil, Dar wa Maktabat Adnan, Baghdad, Iraq, 1st ed., 2013.
6. Al-Bayan wa al-Tabyin, by Abu Uthman Amr ibn Bahr al-Jahiz (d. 255 AH), edited and annotated by Abd al-Salam Muhammad Harun, Al-Khanji Library, Egypt, 2nd ed., 1960.
7. Tarikh al-Tabari: Tarikh al-Rusul wa al-Muluk, by Abu Ja‘far Muhammad ibn Jarir al-Tabari (d. 310 AH), edited by Muhammad Abu al-Fadl Ibrahim, Dar al-Ma‘arif, Egypt, 2nd ed., n.d.
8. Al-Tadawuliyyah wa al-Shi‘r: Qira’ah fi Shi‘r al-Madih fi al-‘Asr al-‘Abbasi, by Dr. Abdullah Bayram, Dar Majdalawi for Publishing and Distribution, Amman, Jordan, 1st ed., 2014.
9. Al-Tashayyu‘ wa Atharuhu fi Shi‘r al-‘Asr al-‘Abbasi al-Awwal, by Dr. Muhsin Ghayyad, introduction by Dr. Shawqi Dayf, Matba‘at al-Nu‘man, Najaf al-Ashraf, 1972.
10. Al-Tayyar al-Islami fi Shi‘r al-‘Asr al-‘Abbasi al-Awwal, by Dr. Mujahid Mustafa Bahjat, Publications of the Ministry of Awqaf and Religious Affairs, Iraq, 1st ed., 1982.
11. Al-Hijaj fi al-Balaghah al-Mu‘asirah, by Muhammad Salim Muhammad al-Amin, Dar al-Kitab al-Jadid al-Muttahidah, Beirut, Lebanon, 1st ed., 2008.
12. Al-Hijaj fi al-Shi‘r al-‘Arabi: Bunyatuhu wa Asalibuhu, by Dr. Samiyyah al-Dridi, Alam al-Kutub al-Hadith, Irbid, Jordan, 1st ed., 2010.
13. Al-Hajjaj in Shrooh Al-Talkhis, by Maytham Qais Al-Zubaidi, PhD Thesis, Department of Arabic Language, Al-Qadisiyah University, College of Education, 2016 AD.

14. Al-Hijaj: Mafhumuhu wa Majalatuhu, by Dr. Hafiz Isma'ili Alawi, Alam al-Kutub al-Hadith, Irbid, Jordan, 1st ed., 2010.

15. Hijajiyyat al-Surah fi al-Shi'r al-'Arabi al-Qadim, by Dr. Muhammad Hasan Abu al-Majd, Dar al-Nabighah for Publishing and Distribution, Tanta, Egypt, 1st ed., 2020.

16. Diwan Abi al-'Atahiyah, edited by Karam al-Bustani, Dar Beirut for Printing and Publishing, 1986.

17. Al-Zandaqah wa al-Shu'ubiyyah fi al-'Asr al-'Abbasi al-Awwal, by Dr. Husayn Atwan, Dar al-Jil, Beirut, Lebanon, n.d.

18. Sharh Diwan Sari' al-Ghawani Muslim ibn al-Walid al-Ansari (d. 208 AH), edited and annotated by Sami al-Dahhan, Dar al-Ma'arif Press, Egypt, 3rd ed., n.d.

19. Shi'r Ibrahim ibn Harmah al-Qurashi, edited by Muhammad Naffa' and Husayn Atwan, Publications of the Arabic Language Academy in Damascus, 1969.

20. Shi'r Mansur al-Namari, compiled and edited by al-Tayyib al-'Ashshash, Dar al-Ma'arif Printing House, Damascus, Syria, 1st ed., 1981.

21. Al-Shi'r wa al-Shu'ara' fi al-'Asr al-'Abbasi, by Mustafa al-Shak'ah, Dar al-'Ilm lil-Malayin, Beirut, n.d.

22. Al-Sihah: Taj al-Lughah wa Sihah al-'Arabiyyah, by Abu Nasr Isma'il ibn Hammad al-Jawhari al-Farabi (d. 393 AH), edited by Ahmad Abd al-Ghafur Attar, Dar al-'Ilm lil-Malayin, Beirut, 4th ed., 1407 AH / 1987 CE.

23. 'Uyun al-Akhbar, by Abu Muhammad Abdullah ibn Muslim ibn Qutaybah al-Dinawari (d. 276 AH), Egyptian General Organization for Authorship, Translation, Printing and Publishing, Cairo, n.d.

24. Fi Nazariyyat al-Hijaj: Dirasat wa Tatbiqat, by Dr. Abdullah Sawlah, Maskiliani Publishing, Tunisia, 1st ed., 2011.

25. Al-Qamus al-Muhit, by Majd al-Din Abu Tahir Muhammad ibn Ya'qub al-Fayruzabadi (d. 817 AH), Mu'assasat al-Risalah for Printing, Publishing and Distribution, Beirut, Lebanon, 8th ed., 1426 AH / 2005 CE.

26. Al-Kamil fi al-Lughah wa al-Adab, by Abu al-'Abbas Muhammad ibn Yazid al-Mubarrad, edited by Muhammad Abu al-Fadl Ibrahim, Dar al-Nahdah Press, Egypt, n.d.

27. Lisan al-'Arab, by Muhammad ibn Mukarram ibn Ali, Abu al-Fadl, Jamal al-Din Ibn Manzur al-Ansari al-

Ruwayfi‘i al-Ifriqi (d. 711 AH), Dar Sadir, Beirut, 3rd ed., 1414 AH.

28. Al-Mustatraf fi Kulli Fannin Mustazraf, by Shihab al-Din Muhammad ibn Ahmad al-Abshihi (d. 850 AH), edited by Muhammad Khayr Tu‘mah al-Halabi, Dar al-Ma‘rifah, Beirut, 5th ed., 2008.

29. Min Tarikh al-Ilhad fi al-Islam, by Abd al-Rahman Badawi, published by Maktabat al-Nahdah al-Misriyyah, Cairo, 1st ed., 1945.

30. Al-Nazariyyah al-Hijajiyyah ‘inda Chaim Perelman, by Dr. al-Husayn Banu Hashim, Dar al-Kitab al-Jadid al-Muttahidah, Beirut, Lebanon, 1st ed., 2014.